No 4A العدد 4A
2026 آب Aug 2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

الصّنعةُ الأدبيّةُ المتفردة في خمرياتِ أبي نؤاس، دراسة موضوعيَّة

م.م. محمود شاكر محمود
المديرية العامّة لتربية صلاح الدين

المُلخَّصُ:
يهدف بحثنا إلى بيانِ الصنعة الأدبيّة التي تفرّد بها الشاعرُ العباسي أبو نؤاس، وهو يتنغم في جوٍّ مغايرٍ للمألوف في وصفِ خمرياتهِ المشهورة التي باتت محطّ أنظارِ الدارسينَ والباحثينَ؛ للكشفِ عَنِ مكنوناتها وسرّ الصنعةِ الأدبيةِ المتفردة فيها. سعى البحثُ إلى تأكيد أَصالة الخمريات في الشعر العربي عموماً، وتتبع مسارها الأدبيّ عبر التاريخ؛ ويسلط الضوء على ريادة الشاعر العباسي أبي نواس في "الخمريات" وتفرده بدمج مشاعر اليأس والغربة فيها، مما جعله علامة فارقة يصعب مقارنتها بأي شاعر آخر؛ ليصلَ إلى نتيجةٍ مفادها توظيف الخمرة في شعر أبي نؤاس تمّ وفق آلية منهجية مغايرة أفصحت عن آثارها في كلّ غرض.إنّ الوقوف على آفاق خمرة النواسيِّ يقتضي منّا تتبّع أبعاد هذه الخمرة ومعانيها، على حسب المواقف الّتى استعملها الشاعر، وربّما نتعرّف على سير حياته في هذا النوع من الوقوف، على أنّه استعملها في معاني مختلفة على حسب الظروف وعلى حسب ما وصل إليها من الناحية الفكرية.
–**الكَلِمَاتُ المِفتَاحيّة:** الصّنعةُ الأدبيّةُ- أبو نؤاس- العصر العباسيِّ- التّفرُّد الأدبيّ- الخمريات.

Literary Distinctiveness in Abu Nuwās's Wine Poems: An Objective Study

Mahmoud A.L Mahmoud Shakir

Abstract:
Our study aims to reveal the literary craftsmanship distinguished by the Abbasid poet Abū Nuwās, as he sings in a atmosphere unlike what is familiar, in describing his well-known wine poems that have become the focus of scholars and researchers. The goal is to uncover their hidden meanings and the secret of his uniquely distinctive literary art.The research sought to affirm the authenticity of wine poetry in Arabic literature in general, and to trace its literary course throughout history. It also highlights the pioneering role of the Abbasid poet Abū Nuwās in *al-Khamriyyāt* (wine poems), and his uniqueness in blending feelings of despair and estrangement within them—an approach that made his work a distinguishing mark that is difficult to compare with that of any other poet.The study reaches a conclusion stating that Abū Nuwās's use of wine in his poetry was carried out according to a different methodological mechanism, one that revealed its effects across every poetic purpose or genre.Examining the horizons of Abū Nuwās's wine imagery requires that we trace the dimensions of this wine and its meanings according to the stances in which the poet employed it. Perhaps through this, we may learn about the course of his life within this kind of poetic stance. He used it with different meanings depending on circumstances and on what he had reached intellectually.
Keywords: literary craftsmanship - Abū Nuwās - the Abbasid era - literary uniqueness - wine poems.

المُقدّمة:

بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم

نَسْتَحْمِدُكَ اللهم بما أنت أهلٌ لهُ من المحامدِ، ونستهديك بما يُزْلِفنا إلى رضاكَ، ونسألكَ أن تصون أفئدتنا عن مواردِ التَّهْلُكَة، وأن تُبَلِّغنا بعونكَ مقاصدَ الخيرِ؛ فإنّك -تعالى جدّك - وَلِيُّ الحمدِ والهداية، وأهل الصونِ والعونِ. وصلِّ اللّهم على مَن أرسلتَهُ رحمةً للعالمين، وهو بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم، والهادي إلى

صراطك المستقيم، واصطفيتهُ على سائرِ رسلك وأنبيائكَ عليهم صلواتُك وسلامك أجمعين، ومَن تبعهم من أوليائِكَ، وعبادكَ الأخيار إلى يومِ الدِّينِ.

وبعدُ... فإنّ موضوعة الخمريات في الشعر العربي عمومًا، والشعر العباسيّ على وجهِ الخصوص، شكلت ملمحًا بارزاً يفصحُ عن جوانبَ مغايرةٍ للمألوفِ في كلّ عصرٍ تنتمي إليهِ فئاتُ الشعراء المولعين بها، وهنا سعت دراستنا للكشفِ عن أبرزِ تلكم الملامح وتجلياتها الأسلوبيّة من خلالها معالجةٍ أدبيّة موضوعيّة للخمرةِ في شعر أبي نؤاس الذي سار على منهجٍ مستقلٍ؛ كان قبلَ أبي نواس شعراءُ تغنّوا بالخمرة وقالوا فيها شعراً جميلاً، كالأعشى في العصر الجاهلي، والأخطل التغلبي في العصر الأموي وغيرهما؛ ولكن حتى زمان أبي نواس لم يكن شعرُ الخمرة يرتقي إلى مستوى الفنّ القائم بذاتهِ؛ فأبو نواس بحق هو مَن وسَّعَ آفاقه و جوهَرَ أعماقَه.

وما يُعرَف في الأدب العربي بخمريات أبي نواس يشهد بصحة هذا القول، ففي بعض التحقيقات لديوان أبي نواس جُمِعَت خمرياتُه كلّها في باب واحد كما فعل (فوزي خليل عطوي)، ومن خلال التتبعِ والبحثِ في نصوص خمريات أبي نواس، ومطالعةِ البحوثِ والدراساتِ والكتابات التي دارت حوله، وجدنا دراسةً اصطفت منها وانتخبت زبدةَ الزُّبَد وكتبت في كراسة خاصة، يقول حنا الفاخوري في(تاريخ الأدب العربي):((أحَبَّ أبو نواس الخمرةَ حبّاً كان عبادةً وكان عشقاً))(١)، هذه المقولة مع أن الفاخوري كغيره من مؤرّخي الأدب لم يُخرِج أبا نواس من دائرة المجون والخلاعة والشذوذ اعتماداً على ماجاء في شعرهِ، أو ما نُسِبَ إليه، لقد أصاب الفاخوري إذ قال إن حبّ أبي نواس للخمرة كان عبادة وعشقاً؛ ولكن ربما لم يتأمل طويلاً ويتبصر في الصفات التي أسبَغَها النواسيّ على خمرته والتي كان من شأنها أن تستحق منه ذاك الاستحقاق،كما إن جميع من وصفوا الخمرة بعد أبي نواس قد أخذوا عنه وبخاصة المتصوفة، وانظروا في الأشعار الصوفية التي تحدثت عن الخمرة كرمز لمعرفة الله تعالى، أو رمز للذات الإلهية تجدوا أن ثمة قواسمَ مشتركة كثيرة بينها وبين خمريات أبي نواس؛ بل إن خمريات النواسي أعمقُ دلالةً وأوسعُ أفقاً وأبعدُ أثراً وأعظَمُ وقعاً في القلوب.

كل ماسبق يقتضي تقسيم البحثِ إلى محاور ثلاثة ترتكزُ على قاعدةٍ تمهيديّة هي في أصل محاولة تأصيلية لمفهوم الخمريات النواسيّة وتطورها في الشعر العربي ، ضمن أبعادٍ جمالية تقتضي الوقوفَ على الأسلوبِ، واللغةِ الشعرية، والموسيقى، وتقديمها في صورةٍ أدبيّة تثبت بلاشك النتائجَ التي توصلَ إليها البحث في رحلتهِ، ومن أبرزها:

١-كشفت الخمريات النّواسيّة عن أوجه الحياة العباسية بكافة أبعادها؛ إذ ظهرت الخمر في لوحات شعرية رامزة، وتشكيلات أسلوبية أظهرت مهارة الشاعر الفنية.

٢-بحث أبو نواس في قاموسه اللغوي والمعجمي عن كافة الألفاظ التي يمكن التعبير بها عما يُعلي من شأن خمرته، وقد اعتمد في سبيل هذا البحث على عناصر الحركةِ، والصوت، والحيوية، والإشعاعِ، بما يشي برغبةٍ جامحةٍ عقدَ فيها معادلة بين ذاته، وواقعه.

٣-عمد أبو نواس في خمرياته بفعل موضوعاتها المتعددة إلى إزالة كافة الحواجز، والفواصل الفارقة ما بين المشبهات والمشبهات بها، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على قوة العلاقة بينهما، وتماهي الاستعارة التصورية وارتقائها إلى درجة عالية.

٤-أكثرَ أبو نؤاس في خمرياته من تقنيتي التشبيه والتمثيل بعناصر الطبيعة؛ لإبراز العنصر الجمالي في محبوبته من جهة؛ إذ إن النفس البشرية تألف الطبيعة وتجد راحتها فيها من جهة ثانية.

وقد استندَ البحثُ في تسجيلِ هذهِ النتائج البارزة على منظومةٍ قيّمة من المصادر والمراجعِ التي شكّلت عصبَ البحثِ وأداتهُ الفاعلة، ومن أهمها:

١-ديوان أبي نواس، تحقيق: إيفالد فاغنر، الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة الذخائر (٦٤) المجلد الثالث، وهو المجلد أو القسم الخاص بباب الخمريات، وقد استبعد الباحث المقطوعات، والأشعار التي وجدت زيادة في الديوان الذي جمعه أبو بكر الصولي، والتي جمعها المحقق في ملحق كامل بهذا الجزء من الديوان، وترد في الصفحات من ٣٨٢ : ٤٣٤، في المجلد نفسه.

٢-فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب، إيليا حاوي، دار الثقافة بيروت. د.ت.

٣-تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات دار المعرفة. بيروت ١٩٩٣م.

٤-أبو نواس الحسن بن هانئ دراسة في التحليل النفساني والنقد التاريخي، عباس محمود العقاد، مطبعة الرسالة. القاهرة. د.ت.
٥- خمريات أبي نواس (دراسة تحليلية في المضمون والشكل)، أيمن محمد زكي العشماوي، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٩٨م.

وبعد .... فهذا جهدُ المُقلِ، أرجو فيه أن أكون قد وفقتُ لتقديمِ عدة موضوعية تنظيرية وإجرائية ناجعة ومفيدة في فهم موضوعة الصّنعةِ الأدبيّةِ في شعر الخمر لدى أبي نواس، الذي قدم لنا صوراً فنيةً مغايرةً عبر توظيفهِ للخمرِ في صور مغايرةٍ للمألوفِ، ابتعد فيها الشاعر عن المعياري والتقليدي، وقد هدف النواسي من خلال خمرياتهِ إلى التخفف من ثقل أيامه، ووطأة واقعه، ومن ثم فإن الخمريات مثلت لديه انفراجة نفسية أو معادلاً سعى من خلاله إلى تحقيق أهدافه التي تتمثل في التعبير عما في نفسه، وما يعتمل في قرارة ذاته؛ ولذا فإنها لديه لم تكن صورة نفسية للخمرة نفسها؛ وإنما هي صورة مؤنسنة للشاعر ولأحاسيسه، وتجاربه، ورؤاه الوجدانية، والفكرية بما يدلل على أن شعره لم يتوقف عند الشكل والتشكيل وحسب؛ بل تناول الشاعر النفس، والداخل فكان رائعًا في تخيله عميقاً في إحساسه متميزاً في تناوله لموضوعه، الذي خلق منه عالماً شعرياً نابضاً بالحياة.

-إضاءة تمهيدية: أبو نؤاس: الهُويّة التّعريفيّة، ومعايير الصّنعة الأدبيّة

-أوَّلاً: الهُوّيّةُ التَّعريفيّة النَّوَّاسِيَّة

يُعدّ أبو نؤاس الحسن بن هانئ الحكمي (٧٥٦-٨١٤م)، من أبرز الشعراء في تاريخ الأدب العربي على الإطلاق، وهو شاعرٌ أحدث ثورةً حقيقية في مسيرة الشعر العربي وأعاد رسم ملامحه من جديد، إذ كسر كثيرًا من الأعراف والتقاليد الشعرية السائدة، واستبدلها بأساليب جديدة ومبتكرة تنمّ عن عقلية متوقّدة وموهبة فريدة لا تُضاهى(٢).

ولعلّ الخمريات تشكّل أبرز ما أبدعه هذا الشاعر الفذّ وأكثره تأثيرًا في الذاكرة الأدبية العربية، إذ رسّخ من خلالها نمطًا شعريًّا جديدًا لم يكن له نظير فيما سبقه من الشعر الجاهلي والإسلامي والأموي، فأعطى الخمريات طابعًا فنيًا خاصًا يجمع بين العمق الفلسفي والرشاقة الأسلوبية والحيوية التصويرية(٣).

ولا يمكن فهم عبقرية أبي نؤاس الخمرية بمعزل عن السياق التاريخي والاجتماعي الذي نشأ فيه، فقد عاش في كنف الدولة العباسية في أزهى عصورها، حين كانت بغداد مركزًا للحضارة العالمية وملتقى الثقافات والحضارات المتنوعة، وحين كانت الترجمة تُغذّي العقول بأفكار الفلاسفة اليونانيين، وعلماء الفرس، والهند(٤)، وهو ما أسهم في بلورة ذهنية منفتحة متسائلة، عكستها خمريات أبي نؤاس في موضوعاتها وأساليبها وفلسفتها الجمالية العميقة.

وتهدف هذه الدراسة إلى سبر أغوار الصنعة الأدبية في خمريات أبي نؤاس من زوايا متعددة، تشمل: الجانب الموضوعي، والتجديد الذي أحدثه الشاعر في معالجة موضوع الخمر، والجانب الأسلوبي الذي يكشف عن خصائص لغته وتركيبه، وجانب الصورة الشعرية وآليات توظيف الخيال، وجانب التناص والموروث الثقافي، وصولًا إلى الكشف عن هوية أدبية فريدة لشاعر لا يشبه سواه في تاريخ الشعر العربي.

-ثَانيّاً: التّكوينُ الثّقافيّ وأثرهُ في نشأةِ الشاعرِ

وُلد أبو نؤاس في الأهواز بإيران لأبٍ عربي من اليمن وأمٍّ فارسية، وهذا الأصل المزدوج لم يكن مجرد حقيقة بيولوجية بل كان بوتقةً انصهر فيها مزاجٌ ثقافي فريد من نوعه، فقد جمع الشاعر بين روح العروبة بفصاحتها وبلاغتها، وبين الحساسية الفارسية بعشقها للجمال والمتعة والحياة(٥)، وقد تتلمذ في البصرة على يد شعراء كبار، ثم رحل إلى الكوفة ليتشرّب ينابيع العربية ويحفظ ما يُروى من شعر الجاهليين والمخضرمين، ولم يكتفِ بذلك بل تعمّق في علوم اللغة والقرآن والحديث، حتى غدا ذا إلمامٍ واسع بالموروث العربي الأصيل(٦).

وتروي المصادر الأدبية أنه حفظ آلاف الأبيات من الشعر القديم قبل أن يبدأ بالإبداع(٧)، وهذا يكشف أن تجديده لم يكن نابعًا من جهل بالموروث بل من إحاطة تامة به وتخطٍّ واعٍ له، فهو يعلم تمامًا ما يُبقي وما يكسر، وما يُكمل وما يُلغي من التقاليد الشعرية، وقد أسهم تردّده على مجالس الخلفاء العباسيين ولا سيما

No 4A العدد4A
2026 آب Aug 2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

هارون الرشيد والأمين في تعميق معرفته بالحياة والناس والسياسة، كما أتاح له التعامل مع أرقى فنون الغناء والطرب والمجالسة الأدبية(٨)، مما أثرى تجربته الشعرية وأضفى عليها طابعًا حضريًا متميزًا.

ـثَالِثًا: التَّفرُدُ في المشهد الشعري النّواسيِّ

يبقى أبو نؤاس في تاريخ الشعر العربي ظاهرةً استثنائية بامتياز، لا يُشبهه أحد من سبقه ولا يُطابقه من تلاه؛ فتفرّده لا يقوم على مجرد الاختلاف الشكلي أو الاختيار الموضوعاتي المغاير؛ بل يقوم على رؤية جمالية وفلسفية وإنسانية متكاملة تنبثق من موهبة خلاقة وثقافة شاملة وشخصية مركّبة لا يمكن اختزالها في تعريف مبسّط. فهو في آنٍ واحد: الشاعر الكلاسيكي المُلمّ بكل أصول الشعر القديم، والمُجدّد الثائر على هذه الأصول وعيًا لا جهلًا، والمُفكّر الوجودي الذي يُوظّف الشعر للتساؤل عن الحياة والمعنى، والساخر الناقد الذي يكشف تناقضات مجتمعه بسلاح الكلمة(٩).

وقد استوعب أبو نؤاس في خمرياته موضوعًا واحدًا هو الخمر والشرب والمجلس، لكنه فتح منه نوافذ على كل المسائل الكبرى: الحرية والقيد، والجمال والفساد، والقدسي والدنيوي، والفردي والاجتماعي، والعربي والكوني. وهذه القدرة على جعل الموضوع المحدود مدخلًا إلى التأمل الكلّي هي علامة الشعر العظيم في أي ثقافة وأي زمان(١٠)؛ ولهذا السبب يحتل أبو نؤاس في قائمة عظماء الشعراء العرب مكانةً لا يُنازَع فيها، وتظل خمرياته من أغنى التراث الشعري العربي وأكثره استحقاقًا للدرس والتأمل والقراءة المتجددة.

ـالمحوَرُ الأوَّلُ: الخَمريّات، تأصيل المَفهومِ وفرادتهِ الأدبيّة النّوّاسيَّة

ـأوَّلاً: تأصيلُ المفاهيم

قبلَ الولوجِ إلى مناقشةِ موضوعِ الصنعةِ الأدبيّة المُتفرّدةِ في خمرياتِ أبي نؤاس، والغوصِ في مضامينها الدلاليّة والأُسلوبية؛ لابدّ لنا من وقفةٍ سريعةٍ عند مفهومِ الخمرِ دلالةً ومصطلحاً قارّاً؛ فالخمرُ هي كل ما أسكر من عصير كل شيء ؛ لأن المدار على السكر وغيبوبة العقل (١١)، وقد أختلف في سبب تسميتها بهذا الاسم فقال أحدهم: ((إنها سميت بذلك؛ لأنها تخمر العقل أي تستره، أو لأنها تركت حتى اختمرت واختمارها يعني تغير رائحتها))(١٢).

وعن مصطلح "الخمريات" نفسه فهي مجموعة الأشعار التي نظمها أبو نواس في غرض الخمر، وما يتصل بها من كؤوس وندماء، وسقاة، وخمارين، وحانات، ويبلغ عدد أبياتها حوالي ستمائة وستون بيتاً (٦٦٠) بيتاً ما بين قصائدَ كاملةٍ، ومقطوعات، ونتف شعرية.

وعلى صعيد الخطاب الشعري لدى أبي نواس تشغل الخمر حيزًا كبيرًا وملحوظاً من شعر النواسي، وتظهر على باقي شعره؛ إذ تنتشر قصائدها ومقاطعها عبر مساحات كبيرة من خطابه الشعري؛ حيث تمثل الخمر عروس شعره، وتتجلى فيها عبقريته الفنية والإبداعية فـ هو على حد تعبير شوقي ضيف (١٩١٠: ٢٠٠٥م) أستاذ فن الخمرية في الشعر العربي غير مدافع سواء من حيث الكمية، أو من حيث الكيفية(١٣)، كما أن شعره في الخمر يُعد أهم أشعاره جودة فنية، وتميزاً إبداعياً .

أما على الصعيد الفني فقد استطاع أبو نواس أن يُعطي نصه الخمري ملمحاً فنياً، وإبداعيًا خاصا ومتفرداً ويمده بملمح حسي وجمالي ما جعله متميزاً في هذا الغرض الشعري، وهو الأمر الذي جعل أبا عمرو الشيباني (ت٢٠٦هـ) يرى فيه واحدًا من ثلاثة في الشعر العربي أجادوا في وصف الخمر، وهم الأعشى (ميمون بن قيس)، والأخطل (غياث بن غوث بن الصلت (ت٧١٠م) ، وأبو نواس(١٤)؛ بل إن أبا نواس يُعدُّ في تقدير الباحث أشعر الثلاثة في هذا الباب لأمور كثيرة يأتي على رأسها الطريقة أو النهج الفني الذي حاول الشاعر من خلاله إظهار براعته فيه، وقوة تأثيره، وهذه البراعة وتلك القوة تتمثل في مناجذة المتلقي وإثارة دهشته، وتتبلور أيضًا في محاولته تشكيل الصور الشعرية تشكيلاً خاصاً على نحو غير متوقع عن طريق الجمع والتقريب بين عددٍ من الأمور والحقائق المتباعدة، أو المتنافرة، وكل هذا ينم عن مهارة لغوية فريدة ووعي ذاتي فلسفي، ونفسي عميقين.

لقد أعلى النواسي من شأن الخمر بوصفها اللذة الكبرى، والمعشوقة المثلى، والقطب الذي تدور حوله كافة محاور حياته ورحى لذاته؛ لذا لم يتردد الشاعر في المجاهرة بشربها، وقد ساعده على هذا التعلق، وهذه المجاهرة ضعف وازعه الديني، وإخفاقه الملحوظ في إقامة علاقة دينية متينة وقوية بالإضافة إلى رغبة الشاعر الملحوظة في تجسيد الحرية وخرق العادة وتجاوز المألوف، وكذلك توافر الحانات في البيئة

No 4A العدد4A
2026 آب Aug 2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن جامعة ساوة الاهلية

العباسية، التي تُعَدُّ الخمريات شاهدة على عصرها؛ حيث انتشرت فيه الخمر، وذاع فيه المجون فقد أتاحت السلطة العباسية حرية الفكر والاطلاع وإبداء الرأي، وشيوع الجماعات والفرق، والنظر في الفلسفة والبحث في المعبود، والشك في الوجود، وكان لكل ذلك أثره في اللغة وآدابها(١٥).

بالإضافة إلى وجود مساحة كبيرة من الحرية؛ حيث ضعفت الرقابة السياسية، ومعها السلطة الدينية وهو الأمر الذي أتاح للشعراء وعلى رأسهم أبو نواس أن يقولوا ما يشاءوا، ويفعلوا ما يحلو لهم؛ إذ تقرر النظرية الاجتماعية أن الفرد يتعلم شرب الخمر وإدمانها من البيئة الاجتماعية المحيطة به، وبخاصة عندما تهدد هذه البيئة مصالحه ورغباته، ويزداد الدافع إلى الشرب عندما يؤكد هذا السلوك رفض مسايرة القيم السائدة في المجتمع، والرغبة في التمرد عليها، بوصفه حيلة اجتماعية تمثل سلوكًا لا شعورياً، يُظهر رغبة الإنسان الكامنة في التفوق على الآخرين، والسيطرة عليهم(١٦).

تأسيساً على ما سبق فقد استمدت الخمرة عند النواسي مادتها من الثقافة العباسية، والبيئة والمجتمع العباسيين؛ حيث استحالت الخمرة إلى إنسان، وتجلت براعة الشاعر في تحويل الوصف من المعياري إلى غير المعياري؛ إذ عملت الأنسنة عن طريق التخييل على الربط بين عالمين متغايرين تم دمجهما في عالم واحد، وهذا الدمج أحدث انزياحًا أسلوبيًا، وهذا الانزياح حقق للنص درجة شعريته عبر توضيح مقدرة الشاعر التوظيفية الموضوعة الأنسنة.

ورغم كثرة البحوث والدراسات التي تناولت الخمريات بما نالته نصوصها من شهرة في تاريخ الشعر العربي إلا أن الباحث يرى أنه ما يزال في الخمريات ما يستطيع أن يقوله الباحثون، والدارسون، وما يستحق التوقف والبحث، ولا ضير في ذلك، فالنصوص المتميزة دائمة التجدد؛ إذ إنها تجعل من نفسها دوما ميدانا للبحث والدراسة، وقد اختلفت آراء الباحثين حول الخمريات وتنوعت تبعًا لتنوع المناهج، ولكن ما اتفقت عليه وأجمعت هو أهمية الخمريات في تاريخ الشعر العربي، وضرورة إعادة قراءتها، ودراستها.

ـثَانيّاً: الخمريات قبل أبي نؤاس

لم يكن أبو نؤاس أول من تناول الخمر في الشعر العربي، فثمة إرهاصات واضحة لهذا الموضوع في الشعر الجاهلي والأموي، حيث وصف الشعراء الخمر وآثارها في أبيات متناثرة أو في مقطوعات قصيرة، لكنها لم تكن لتُشكّل فنًا مستقلًا بعناصره وأطره وجمالياته الخاصة. فقد أشاد امرؤ القيس وطرفة بن العبد بمجالس الشرب ولذة الخمر(١٧)، وذكر عمر بن أبي ربيعة ساقيه في سياقات غزلية(١٨)، وأبدى الأخطل، والأعشى ولعهما بالخمر في مناسبات متعددة(١٩)، غير أن هذا كله كان في مقام السمة العرَضية لا في مقام الفن المؤسَّس.

وفي العصر الأموي، برز الشاعر الوليد بن يزيد الأموي بخمريات جريئة تنمّ على ذوق مرهف وجرأة واضحة، وكذلك يزيد بن معاوية الذي نظم أبياتًا مائعة في ذم الزهد والدعوة إلى اللذة(٢٠)، بيد أن هؤلاء جميعًا افتقروا إلى الاتساق الفني والعمق الجمالي الذي يميز نصًا أدبيًا متكاملًا عن مجرد تعبير عفوي، وهنا يبرز الفارق النوعي بين ما أسسه أبو نؤاس وما سبقه، إذ حوّل الخمريات من إشارات عابرة ومقاطع متفرقة إلى قصائد كاملة بنيانها متماسك ورؤيتها موحّدة وجمالياتها خاصة؛ بل غدت الخمرية فنًا شعريًا مستقلًا بحق وصف وعناصر وخصائص.

فنلمحُ بوضوح التجديد الجذري في بنية القصيدة الخمرية الذي أحدثه أبو نؤاس في ثورة حقيقية، حين أطاح بمطالع القصائد الجاهلية القائمة على الوقوف على الأطلال، وبكاء الديار، وذكر الأحبة الراحلين، وهو ما كان يُعدّ في عرف القدماء ركيزةً أساسية لا يمكن الاستغناء عنها، فقد ردّ أبو نؤاس على هذا التقليد في صراحة لافتة حين قال في إحدى قصائده(٢١):

دَعْ عنكَ لَومي فإنَّ اللومَ إغراءُ .....وداوِني بالتي كانتْ هيَ الداءُ.

مُعلنًا بذلك قطيعته مع نموذج الشعر القديم، ومؤسّسًا لنموذج جديد يرفض البكاء والحنين، ويُؤثر الحضور والانخراط في لذة اللحظة الراهنة.

كذلك كسر أبو نؤاس قاعدة الطول الكلاسيكية للقصيدة العربية، واستعاض عنها بالقصيدة المركّزة والمكثّفة التي تُعبّر عن لحظة آنية وتجربة حسية محددة بدلًا من المديح المطوّل والرحلة الملحمية، فكثير من خمرياته عبارة عن قصائد وجيزة ترصد مشهدًا واحدًا أو موقفًا بعينه، تصوّر فيه الخمر والحانة،

No 4A العدد4A
2026 آب Aug 2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

والنديم، والساقي، وتعالجه برؤية شعرية متكاملة، مما يجعل كل قصيدة عالمًا مكتفيًا بذاته لا مجرد مقطعًا من قصيدة طويلة، وهذا التكثيف الشعري يستحق وقفةً نقدية طويلة لأنه يعكس وعيًا جماليًا متقدمًا بأهمية الوحدة العضوية في القصيدة.

ـثَالِثًا: دلَالَاتُ الخَمرةِ النّواسيّة المغايرة الأسلوبيّة

١ـالخمر رمزًا فلسفيًا للحرية والوجود

لم تكن الخمرةُ في شعر أبي نؤاس مجرد مسكر يُزيل الهموم، أو يُلهي عن متاعب الحياة؛ بل كانت رمزًا فلسفيًا عميقًا يُعبّر عن مفهوم الحرية الوجودية، ورفض القيود الاجتماعية والدينية، فهو حين يشرب الخمر ويُغني في مديحها لا يمارس فعلًا ماديًا بسيطًا؛ بل يُعلن موقفًا فكريًا من العالم مفاده أن اللحظة الآنية هي القيمة الحقيقية، وأن التمسك بها والانغماس في متعها هو الحكمة التي يغفل عنها كثيرون.

ويكشف هذا التوجه عن تأثرٍ واضح بالفلسفة الأبيقورية التي وصلت إلى المفكرين العرب عبر حركة الترجمة في العصر العباسي(٢٢)، وإن كان أبو نؤاس لم يُعلن عن هذا التأثر صراحةً بل جسّده في تجربته الشعرية، ومن أبرز ما يُجسّد هذا البعد الفلسفي قصيدته التي يقول فيها(٢٣):

أَلا فاسقِني خمرًا وقُل لي هيَ الخمرُ .....ولا تَسقِني سرًّا إذا أمكنَ الجهرُ.

فهو لا يكتفي بطلب الشراب بل يطلب الجهر به والتصريح بالمتعة دون خجل أو مواربة، معلنًا بذلك تحدّيه للقيم الاجتماعية السائدة وللمنظومة الأخلاقية التقليدية، وقد يكون هذا الجهر بحدّ ذاته هو الموضوع الحقيقي لكثير من خمرياته، أي إعلان الإنسان عن حريته وحقه في الاختيار حتى حين يتعارض ذلك مع المألوف والمقبول اجتماعيًا، وقولهُ من البحرِ البسيطِ (٢٤):-

ومُدامةٍ سَجَدَ الملوكُ لذكرها.....جلّت عن التصريح بالأسماءِ.

شمطاءَ تذكرُ آدماً مع شيثه.....وتُخبِّر الأخبارَ عن حواءِ.

ما هذه الخمرةُ التي سجَدَ الملوك لذكرها وجلّت عن التصريح بالأسماء وتخبر الأخبار عن حواء وتذكر آدما وشيثه؟

وقوله أيضاً من البحرِ السريعِ(٢٥):-

أثنِ على الخمر بآلائها .....وسَمِّها أحسنَ أسمائها.

دارت فأحيَت غيرَ مذمومةٍ.....نفوسَ حسراها وأنضائها.

والخمر قد يشربها معشرٌ .....ليسوا إذا عُدُّوا بأكفائها.

لو أخذنا البيت الأول و وضعنا محلّ كلمة (الخمر) كلمة(الرَّب) تصبح صيغة البيت :

أثنِ على الرَّبِ بآلائه، وسمِّه أحسنَ أسمائه.

ببساطة يُفهَم مقصدُ أبي نواس من هذه الخمرة التي تحيي النفوس أنّها خمرة فريدة، فيها رمز معرفة الإله؛ لذلك كان وما يزال الاختلاف حولها إذ ينظر إليها كل إنسان من زاوية فهمه ومن مستوى مقامه، وكذلك يقول من البحرِ البسيط(٢٦):-

جلّت عن الوصف حتى ما يُطالبها.....وَهْمٌ فتخلفُها في الوصف أسماءُ.

تقسَّمَتْها ظنونُ الفكر إذْ خَفِيَت.....كما تقسَّمَت الأديانَ آراءُ.

ثم إن خمرة أبي نواس جوهرةٌ روحانية ثابتةٌ على مرّ الدهور برغم اختلاف الصّور وفسادها، ففيها يقول(٢٧):

أكلَ الدهرُ ما تجسَّمَ منها.....وتبقَّى لبابَها المكنونا.

فإذا ما اجتليتَها فهباءٌ.....يمنَعُ الكفَّ مايبيحُ العيونا.

ـوقوله أيضاً(٢٨):

عَمرَتْ يكاتمُك الزمانُ حديثَها.....حتى إذا بلغ السآمةَ باحا.

فأتَتْك في صُوَرٍ تَداخَلَها البِلى.....فأزالَهُنَّ وأثبَتَ الأرواحا.

إلى هنا يمكن أن نقول إن خمرته رمز للذات الإلهية، وأما ما رَمَزَ به من هذه الخمرة إلى معرفة الله فمثاله قوله(٢٩):

مازلتُ أستلُّ روحَ الدَّنِّ في لُطُفٍ...وأستقي دمَه من جوفِ مجروحِ.

حتى انثنيتُ ولي روحانِ في جسدٍ.....والدنُّ منطرحٌ جسماً بلا روحِ.

No 4A العدد4A
2026 آب Aug 2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

فالخمرة هنا روحٌ تبعث الحياة في الإنسان، وكذلك هي معرفة الله، إنها روح أي حياة ثانية تتجدد في صاحبها؛ ولأن هذه المعرفة العليا خاصة بأهل النور والإيمان فقد حرمت على اللئام كما حللت للكرام، ولهذا المعنى أشارَ بقولهِ(٣٠):

ولا تسقِ المدامَ فتى لئيماً.....فلستُ أحِلُّ هذي للئيمِ.

ولا تجعلْ نديمَك في شرابٍ.....سخيفَ العقلِ أو دَنِسَ الأديمِ.

ومّما لا شكّ فيه أنّ أبا نواس في نظرته هذه إلى الخمرة قد تأثَّرَ بالعديد من العقائد والدّيانات التى احتّلت الخمرةُ فيها مكانا مقدّساً.

ونذكُر في هذا المجال ماقاله الدكتور محمّد النويهي عن مكانة الخمرة لدى بعض الديانات والأمم، لنرَ مدى تأثّر أبي نواس في موقفه من الخمرة بنظرة هؤلاء، يقول النويهي: ((اعتقدت أمم كثيرة من البشر أن نشوة الخمرة، من صنف النشوة الدينية ثم زادت فزعمت أنّها جزءٌمنها، فلم تكد تخلوطقوس العبادة لديها من شرب الخمر وأخذها مأخذ المراسيم الدينيّة الواجبة. ثم زادت بعضها على هذا، فجعلتْ شربَ الخمر شعيرة دينيّة قائمة بذاتها تتخّذ بها طقوس خاصّة تقررّ ما ينبغي فعله ومالا ينبغي في أثناء الشرب. وعَدّت أديان كثيرة الخمرَ شرابا إلهيا واعتبرتها روحَ الحياة. أوعَدّتها نفسَ الإله وروحه، وقالت إنّ بها القدرة على ردّ الميّت إلى الحياة، وفى بعض الديانات كان الآلهة فى أصلهم غير خالدين، ثم شربوا الخمرة فاكتسبوا الخلود))(٣١).

٢-الحانة فضاءً شعريًا متفردًا

أعطى أبو نؤاس الحانة بعدًا شعريًا لم تنله في سائر الشعر العربي، فجعلها مكانًا مقدسًا بمعنى خاص، فضاءً للانعتاق من ضغوط الواقع وللتواصل الإنساني الأصيل بعيدًا عن التصنع والتكلف. فالحانة في شعره ليست مجرد خلفية للحدث، أو إطارًا للمشهد؛ بل هي فاعلةٌ أساسية تُشكّل المزاج وتُحدد نوع التجربة، ويصف أبو نؤاس الحانة بتفاصيل دقيقة تشمل الأواني الزجاجية البراقة، والمصابيح المضيئة، والنديم المرح، والساقي الجميل، وأصوات الطنبور والمزمار، مما يخلق مشهدًا حيًا نابضًا يستنهض حواس القارئ جميعًا(٣٢).

ومن المثير للانتباه أن أبا نؤاس أكثر من الحديث عن حانات يديرها مسيحيون، أو فرس، متخذًا من هذا الفضاء المتعدد الثقافات رمزًا للانفتاح والتسامح والتعالي على الحواجز الدينية والعرقية، وهذا يُعكس رؤية كونية واسعة تُقدّم اللقاء الإنساني فوق الانتماءات الضيقة، وتُجلّ المتعة المشتركة بوصفها قاسمًا مشتركًا بين البشر بمختلف انتماءاتهم، فالحانة في شعره فضاء ديمقراطي بالمعنى الوجودي، لا يُميّز بين شريف ووضيع، ولا بين مسلم وكتابي، ولا بين عربي وأعجمي.

تأمل قولهُ(٣٣):-

أحبُّ إليَّ من وَخْد المطايا.....بموماة يُتيه بها الظليمُ.

ومن نعت الديار ووصف ربع.....تلوحُ بها على القِدَم الرسومُ.

رياض بالشّقائق مُونَقات.....تكنّفَ نبتَها نورٌ عميمُ.

كأنّ بها الأقاحي حين تضحى.....عليها الشمسُ طالعةً نجومُ

ومجلس فتيةٍ طابوا وطابت.....مجالسهُم وطاب بها النعيمُ.

تدارُ عليهمُ فيها عقارٌ.....مُعتّقةٌ بها يصبوالحليمُ.

كؤوس كالكواكبِ دائراتٌ.....مَطالِعُها الفُلُكِ الأديمُ

إن موقف أبي نواس من الخمر يكشف بوضوح جلي عن ولعه بالحرية، ورفضه لأي قيد، وهو بهذا الموقف يُعلي من نزعة الأنسنة، ويعد إنسانه مركز الكون، ومحور القيم على حد تعبير محمد أركون(٣٤)، فلقد أجاد النواسي في تصوير الخمر ووصفها، وحاول إخراجها من طبيعتها الوصفية أو التصويرية المعتادة والمألوفة، وتعامل معها بوصفها كائناً حيا يحس، ويشعر فيما يُشبه العالم الافتراضي، الذي يُغني عن العالم الواقعي فما فقده الشاعر في عالمه الواقعي من نشوة، وإثارة حاول تحقيقه في عالمه الافتراضي، وقد أجاد في هذا وهذه الإجادة كانت نابعة من نفسيته الماجنة قبل كل شيء، وبعد كل شيء فهو يرى الحياة عبارة عن لذة، ولولا مآرب أخرى ما عمد إلى مدح فلان أو هجاء فلان فهو يتخذ من المدح أحيانًا طريقاً سهلاً لعرض الخمر، أو شربها(٣٥)، ويتفق الباحث مع ما ذهب إليه طه حسين حول

محورية البعد النفسي في قراءة شعر أبي نواس وبخاصة خمرياته، فإذا لم تفهم نفسية هذا الشاعر كان من الصعب فهم أسرار صياغته الفنية، واستخراج جمالياتها، وعلى رأس هذه الجماليات اللذة؛ من حيث إن كل جميل مثير للذة على حد تعبير سيجموند فرويد(٣٦)،
Sigmund Freud.(١٨٥٦: ١٩٣٩م)

بناءً على ما تقدم فإن أبا نواس كان شاعراً باحثاً عن ملذاته أينما كانت، فقد تكيف وضعه هذا مع الظروف التي رسمت معالم العصر العباسي؛ إذ إن الشاعر أراد أن يتخذ مذهبًا جديدًا في الشعر، ويوفق بينه وبين الحياة العصرية.

٣-توظيف الطبيعة في خدمة الخمرية

خلافًا للشاعر الجاهلي الذي يُهيمن فيه وصف الطبيعة على القصيدة بوصفه غايةً قائمة بذاتها، يُوظّف أبو نؤاس الطبيعة في خمرياته توظيفًا وظيفيًا انتقائيًا، أي يستحضر منها ما يُغني التجربة الخمرية ويُعمّق أبعادها الجمالية والنفسية. فالربيع بأزهاره ومطره وخضرته يُشكّل السياق المثالي لمجلس الشرب ويُضفي عليه روحًا من البهجة والانبعاث، وأضواء النجوم والقمر تُحوّل ليل الحانة إلى مشهد ملحمي أثيري، والأنهار والبساتين تُقدّم خلفية طبيعية تُعزّز الإحساس بالحرية والانطلاق.

وتظهر الطبيعة في خمرياته أحيانًا بوصفها شاهدًا على فعل الشرب ومشاركًا صامتًا في التجربة، بل كأنها تُباركها وتُشجّع عليها بجمالها وحيويتها. يقول في إحدى قصائده محتجًا بالطبيعة على الزهد والتقشف: إن الأرض تُنبت الكرم وتُثمر العنب، فهل هذا إلا دعوةٌ من الكون ذاته لتذوّق هذه النعمة؟ وهذا التوظيف الحجاجي للطبيعة يكشف عن ذكاء أسلوبي رفيع يستخدم فيه الشاعر الجمال الطبيعي دليلًا فلسفيًا على حقه في التمتع بالحياة ولذاتها.

–المِحوَرُ الثّانيِّ: الصورة الشعرية ومستوياتها في خمريات أبي نؤاس

لا شك أن الصورة الفنية تمثل الشكل الجمالي للقصيدة، وهي جانب أساسي من جوانبها ، فهي التي تحدد مدى تمكن الشاعر من أدواته الفنية، وتحدد كذلك قوة النضوج الخيالي لدى الشاعر. فاللفظ جسد وروحه المعنى، وعلى قدر تمكن الشاعر من أدواته الفنية تكون قوة شعره، ويكون تأثيره في المتلقي، وكذلك تكون مكانته بين أقرانه من الشعراء؛ لهذا ((تحتل الصورة الفنية بقيمتها العالية ومكانتها الفاعلة مكانة مهمة في الدراسات الأدبية والنقدية على مر عصور الشعر العربي من حيث أدواتها، ووسائلها، ووظيفتها في القصيدة الشعرية، وإن كان النقاد القدامى لم يصطلحوا على تسميتها بالصورة الفنية، إلا أنها وردت لديهم بمسميات تتفق والمعايير الأساسية للصورة الفنية، حيث جاءت بمسمى اللفظ والشكل والأسلوب، أما نقادنا المتأخرون فترد الصورة الفنية لديهم بأسماء عديدة مترادفة المعنى، فيقال عنها : الصورة الشعرية أو الصورة البيانية، وبعضهم يفردها فيذكرها بالصورة فقط))(٣٧)، أضف إلى ذلك أن الصورة الفنية موضع اعتبار في الحكم على الشاعر، وقد نوه إلى ذلك الدكتور محمد حسن عبد الله حين قال: ((لقد كانت الصورة دائما موضع الاعتبار في الحكم على الشاعر حتى وإن لم ينص عليها في الدراسات النقدية العربية، وحين يُقدم امرؤ القيس بإجماع نقدي واضح فإن أهم مسوغات تقديمه أنه أول من بكى واستبكى وقيد الأوابد وشبه النساء بالبيض إلخ، وكذلك فإن التميز بالصورة المبتكرة في شكل استعارة أو تشبيه لا يخفى))(٣٨).

ولا شك أن أبا نواس يمثل المرآة الحقيقية للعصر العباسي بجميع متغيراته ظهر ذلك في معجمه الشعري، وفي موضوعاته وتراكيبه، و نسجه للصورة الشعرية؛ التي تأثرت بالمتغيرات المرئية والسمعية وغيرها من الأمور التي ظهرت وانتشرت في العصر العباسي.

وقد تأثر أبو نواس- كما تأثرت البيئة العباسية- بالنقوش والتصاوير الفارسية، وظهر ذلك جليا في كثير من تراكيبه الشعرية، لنتأمل قوله(٣٩):-

تدار علينا الرَّاحُ في عسجدية.....مها تدريها بالقسي الفوارسُ.
قرارتها كسرى وفي جنباتها.....حبتها بأنواع التصاوير فارسُ.
فللخمر ما زُرَّتْ عليه جيوبها.....وللماء ما دارت عليه القلانس.

فأبو نواس يصف مجلسه مع أصدقائه وهم يشربون الخمر في كؤوس فارسية مصنوعة من ذهب، وفيها تصاوير فارسية، وقد رسم لنا لوحة فنية رائعة لم يسبق إليها تتجلى في وصفه للكأس في حال فراغها

مجلة محكمة تصدر عن جامعة ساوة الاهلية
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
No 4A العدد4A
2026 آب Aug 2026

وامتلائها، فالكؤوس محلاة من أسفلها بصورة كسرى، أما جوانبها فمحلاة بصورة فرسان يتحينون غفلة المها؛ ليرموها بسهام أقواسهم، ويبدو التأثير الفارسي في الصورة من خلال استخدام أدوات الشرب الفارسية، والمحفوفة بالتصاوير والنقوش الفارسية.

–أوّلاً: الصورة الحسية وتعدد المداخل الإدراكية

تُعدّ الصورة الحسية الشاملة من أبرز علامات التفرد في شعر أبي نؤاس الخمري، إذ لا يقتصر على حاسة واحدة في رسم مشاهده بل يستدعي حواسه الخمس جميعًا في إبداع مركّب موحّد. فهو يُجمع في القصيدة الواحدة بين ما تراه العين من ألوان الخمر وبريق الكأس، وما تسمعه الأذن من أصوات القيثار والغناء والضحك، وما تستنشقه الشامة من عبق الخمر ورائحة البستان، وما تلمسه اليد من نعومة الزجاج وخشونة الخشب، وما يُحسّه اللسان من حلاوة الخمر وحرارة ذرقها. هذا التعدد الحسي الموحَّد هو ما يجعل قصائده الخمرية تجاربَ كاملة وليس مجرد كلمات.

وفي مجال الصورة البصرية تحديدًا، يُبدع أبو نؤاس في استثمار الألوان بدلالاتها وإيحاءاتها، فالخمر الحمراء تُغاير الخمر الصفراء في الدلالة قبل الصورة، والخمر الصافية كالزجاج تُغاير الكدرة الموحلة في الموقف الجمالي قبل الوصف الواقعي. ويُضيف إلى هذا التمييز اللوني توصيفًا للضوء وطريقة انعكاسه على الأواني والأسطح المختلفة، مُفيدًا من تقاليد الوصف الجمالي البلاغية العربية القديمة ومُضيفًا إليها حساسيةً بصرية فائقة تعكس تجربته المعاشة الحقيقية في مجالس الشرب، ومن هنا تكتسب الخمريات أهميتها البنيوية بوصفها نصوصًا تُؤرّخ للحظات إنسانية حية.

والصورة الشعرية لا تكمل إلا حين يحيط الوصف بجميع أنحاء الموصوف، منها قول أبي نواس في وصف الراح(٤٠):-

صَهْباءُ تَبْني حَبَابًا كُلَّما مُزِجتْ .....كأنّهُ لُؤلُؤٌ يَتْلُوهُ عِقْيانُ.
كانتْ عَلَى عَهْدِ نُوحٍ في سَفِينَتِهِ .....مِنْ حَرّ شَحنَتِها والأرْضُ طوفانُ.
فَلَمْ تَزَلْ تَعجُمُ الدّنيا وتعجُمُها.....حَتى تَخَيَّرَها للخَبْءِ دِهْقانُ.

أراد أبو نواس أن يصف الخمر، ولكن هل وضع صورة شعرية تنتظم مع ما للخمر من اللون والعبير، وما لها من العبث بالعقول، واللعب بالنفوس؟

لقد أبدع في صناعةٍ أدبية صاغ شيئًا من ذلك؛ ولكنه ذكر فقط أنها كلما مزجت تبني حبابًا كأنه لؤلؤ يتلوه عقيان، ثم اندفع يذكر أنها عتيقة، وأن عهدها بالوجود قديم، وقد جره ذلك إلى الإغراب في الكذب، فذكر أنها كانت خير ما شحن في سفينة نوح، وأنها ما زالت تغالب الدهر، وتصانع الحدثان، حتى ظفر بها دهقان ماكر دفنها في مغار الأرض، وأخفاها عن عيني الزمان، ولم يكفه ذلك بل ذكر أن الأرض التي دفنت فيها هذه الخمر أرض كسروية، لم ينصب فيها خباء لعبس ولا ذبيان، ولم ينبت بها عرفج ولا خطبان بل زينها الجلنار، والورد، والآس والسوسان.

وللنظر قول أبي نواس من كلمة ثانية(٤١):-

دَعْ عَنْكَ لَوْمي فَإنَّ اللَّوْمَ إغْراءُ.....ودَاوِني بالَّتي كانَتْ هيَ الدَّاءُ
صَفْراءُ لا تَنْزِلُ الأحْزانُ سَاحَتَها.....لَوْ مَسَّهَا حَجَرٌ مَسَّتْهُ سَرَّاءُ
قامتْ بإبْرِيقِها واللَّيْلُ مُعْتكرٌ.....فَلاحَ مِنْ وجْهِها في الْبَيت لألاءُ
فأرْسلَتْ مِنْ فَمِ الإبْرِيق صافيَة.....كأنَّما أخْذُها بالعَيْنِ إغْفَاءُ
جَفَّتْ عَنِ الماءِ حَتَّى ما يُلائِمُها.....لَطافَةً وَجَفا عَنْ شَكْلِها الماءُ
فَلَوْ مَزَجْتَ بها نُورًا لَمَازَجَها.....حَتَّى تَوَلَّدَ أنْوارٌ وأضْواءُ.

وهذه صورة شعرية للراح، ألم فيها الشاعر بصفاتها المختلفة، أو بأشهر ما لها من الصفات، وقد ابتدأ ذلك بنبذ ملامة اللائمين، بل جعل اللوم نوعًا من الإغراء، واستصرخ الساقي ليسعفه بالتي كانت الدواء، لما أورثت من داء، ثم اندفع يذكر أنها صفراء اللون، وأن الحزن لا يحل لها ساحة، وأن الحجر لو مسها مسته السراء، وأنها حين قامت بإبريقها هتكت الظلماء، بما لوجهها من لألاء، وأنها حين أرسلت صافية من فم الإبريق أخذت تلعب بالعيون كأنها الإغفاء، وأنها لطفت حتى ما تلائم الماء، ولا يشاكلها الماء، فلا سبيل إلى أن تشعشع بالعذاب الفرات، فإن عجز المصطبح أو المغتبق عن شربها صرفة فليمزجها بالنور فإنه لها مزاج، وهي له لباس، ومنهما تتولد الأنوار والأضواء.

وقد يلاحظ أن هذا الوصف بعيد عن متناول العقول، ونجيب بأنه لا جمال للشعر إلا إذا أضيف إلى الحقيقة شيء من الخيال، وقد يكون هذا الخيال حقيقة ثاني لا فرق بينها وبين الأولى إلا أن احداهما في الواصف وأخراهما في الموصوف؛ لأن الشاعر لا يصف شيئًا إلا متأثرًا بحسنه أو قبحه، فهو حين يذكر الشيء الدميم يذكر بجانبه نفرته من الدمامة، وحين يصف الشيء الجميل يصف بجانبه غرامه بالجمال، وربما خضع الشاعر لعاطفته، فانتقل من وصف إلى وصف، كأن يترك الحديث عن الراح وينحدر إلى وصف الساقي مثلًا، وهنا لا مندوحة من أن ينتقل الناقد مع الشاعر ليعرف أقصّرَ في وصف ما انتقل إليه أم أجاد، وتكون الصورة الشعرية للموصوف الثاني.

–ثَانيّاً: الصورة الحركية وديناميكية المشهد

لا تتجمّد المشاهد في خمريات أبي نؤاس بل تنبض بالحركة والحيوية والتحوّل المستمر، مما يمنحها طابعًا دراميًا حيًا يُميّزها عن كثير من الأوصاف الشعرية الثابتة الساكنة. فهو يرصد حركة الكأس من يد إلى يد، وتدفق الخمر من الإناء إلى الكأس، وتصاعد الرغوة وتراقصها، وتأثير الخمر في الجسد والعقل والمزاج بصورة متدرجة ومتحوّلة. هذه الديناميكية تجعل القصيدة فيلمًا شعريًا لا صورةً ثابتة، وهو ما يُسهم إسهامًا كبيرًا في جذب القارئ وإبقائه متابعًا، لنتأمل قولهُ(٤٢):-

أحبُّ إليَّ من وَخْد المطايا.....بموماة يُتيه بها الظليمُ.
ومن نعت الديار ووصف ربع.....تلوحُ بها على القِدَم الرسومُ
رياض بالشّقائق مُونَقات.....تكنّفَ نبتَها نورٌ عميمُ.
كأنّ بها الأقاحي حين تضحى.....عليها الشمسُ طالعةً نجومُ
ومجلس فتيةٍ طابوا وطابت.....مجالسهُم وطاب بها النعمُ
تدارُ عليهمُ فيها عقارٌ.....مُعتّقةٌ بها يصبوالحليمُ
كؤوس كالكواكب دائراتٌ.....مَطالِعُها على الفلك الأديمُ

ويرتبط بهذا البُعد الحركي توظيفه لمفهوم الزمن في بنية الصورة، إذ يرصد تحولات اللحظة الشعرية من قبل الشرب إلى أثنائه إلى ما بعده، ويعكس كيف يتغير الإدراك والرؤية والموقف مع تقدم حالة النشوة. وهذا التتبع الزمني الدقيق يُعكس وعيًا نفسيًا رفيعًا بتجربة الشرب الإنسانية، ويجعل الخمرية توثيقًا شعريًا لتجربة وجودية متكاملة لا مجرد وصف خارجي مبسّط.

–المحوَرُ الثَّالِث: مَوقِفُ النُّقاد من الخمريات النّوّاسيّة، قراءات مرجعية

لم يكن أبو نؤاس أول من تناول الخمر في الشعر العربي، فثمة إرهاصات واضحة لهذا الموضوع في الشعر الجاهلي والأموي، حيث وصف الشعراء الخمر وآثارها في أبيات متناثرة أو في مقطوعات قصيرة، لكنها لم تكن لتُشكّل فنًا مستقلًا بعناصره وأطره وجمالياته الخاصة. فقد أشاد امرؤ القيس وطرفة بن العبد بمجالس الشرب ولذة الخمر، وذكر عمر بن أبي ربيعة ساقيه في سياقات غزلية، وأبدى الأخطل والأعشى ولعهما بالخمر في مناسبات متعددة، غير أن هذا كله كان في مقام السمة العرَضية لا في مقام الفن المؤسَّس(٤٣).

–أوّلاً: التّجديدُ الجّذري في بنيّةِ القصيدة

أحدث أبو نؤاس ثورة حقيقية حين أطاح بمطالع القصائد الجاهلية القائمة على الوقوف على الأطلال وبكاء الديار وذكر الأحبة الراحلين، وهو ما كان يُعدّ في عرف القدماء ركيزةً أساسية لا يمكن الاستغناء عنها، فقد ردّ أبو نؤاس على هذا التقليد في صراحة لافتة حين قال في إحدى قصائده: "دَعْ عنكَ لَومي فإنَّ اللومَ إغراءُ / وداوِني بالتي كانتْ هيَ الداءُ"، مُعلنًا بذلك قطيعته مع نموذج الشعر القديم ومؤسّسًا لنموذج جديد يرفض البكاء والحنين ويُؤثر الحضور والانخراط في لذة اللحظة الراهنة.

كذلك كسر أبو نؤاس قاعدة الطول الكلاسيكية للقصيدة العربية، واستعاض عنها بالقصيدة المركّزة والمكثّفة التي تُعبّر عن لحظة آنية وتجربة حسية محددة بدلًا من المديح المطوّل والرحلة الملحمية، فكثير من خمرياته عبارة عن قصائد وجيزة ترصد مشهدًا واحدًا أو موقفًا بعينه، تصوّر فيه الخمر والحانة والنديم والساقي وتعالجه برؤية شعرية متكاملة، مما يجعل كل قصيدة عالمًا مكتفيًا بذاته لا مجرد مقطعًا من قصيدة طويلة. وهذا التكثيف الشعري يستحق وقفةً نقدية طويلة لأنه يعكس وعيًا جماليًا متقدمًا بأهمية الوحدة العضوية في القصيدة، ففي الكثير من أشعاره يثور على نظام القصيدة القديمة وأشهرها(٤٤):-

مجلة محكمة تصدر عن جامعة ساوة الاهلية
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
العدد 4A No 4A
آب 2026 Aug 2026

لا تبكِ ليلى ولا تبك إلى هندِ.....واشرَب على الورد من حمراء كالوردِ.
كأسا إذا انحدرتْ في حلق شاربها.....أجدتْهُ حُمرتَها في العين والخدّ.
فالخمرُ ياقوته والكأس لؤلؤة.....من كف جارية ممشوقة القدِ.

ولا بّد من التأكيد في هذا المجال على أنّ رفض أبي نواس لشكل القصيدة القديمة وموضوعاتها وثورته عليها وسخريته من حياة الأعراب والبادية، لم تكن- كما زعم البعض- شعوبية عنصرية، تصدرُ عن تعصّب لقوم دونَ قومٍ، بل كان امتدادا لموقفه العام الّذي نبغ من استقلال النظرة والّذي يلائم ذوقه ونفوره من التعصّب المُقيت. وإننّا نرى ما قاله أبو نواس في إطار هجومه على أساليب الحياة القديمة، إن هو إلّا دعوة إلى نبذ التعصّب.

-ثَانيّاً: سرُّ الصنعةِ الأدَبيّةِ في الخمريات النّوّاسيّة

يكشفُ التتبع الدقيق لخمريات أبي نؤاس عن محاولاتهِ الإبداعية في أن يخلق من خلال الخمرة مذهباً شعرياً جديداً يطرحُ من خلاله قيما وأعرافا جديدة وهي مِن وحي حياته الحاضرة وليست من وحي حياة أسلافه. وتسمعه يدعو إلى نبذ الوقوف على الدّيار في
إطار سخريته من المقلّدين المعاصرين له والّذين يبتعدون عن واقعهم وهم غارقون في غمرة التقليد، حيث يقول(٤٥):-

أبْخِل على الدّار بتكليم .....فما لَديها رجعُ تسليم
والعن غُراب البين بغضا له.....فإنّه داعيةُ الشّومِ.
وَ عُج إلى النرجسِ عن عوسج.....والآس عن شيحٍ وفيصومِ.
واغدُ إلي الخمرِ بإبّانها .....لا تمتنعْ عنها لتحريمِ.
فمَن عدا الخمرَ إلى غيرها.....عاشَ طليحا عين محرومِ.

لم تكن الخمرة عند أبي نواس وسيلة من وسائل التعبير عن أبعاد موقفه من الفّن والحياة والقيم الإجتماعية والسّياسية، ووسيلةً للتّعبير عن معاناته الوجدانية فحسب، بل إنّه ابتكر نوعاً آخر من الخمريات في أواخر حياته وهوبلوغ شعره الخمري وهي الثمرة الناضجة من شجرة خمرياته.

-ثَالِثًا: التفرد في المشهد الشعري العربي

يبقى أبو نؤاس في تاريخ الشعر العربي ظاهرةً استثنائية بامتياز، لا يُشبهه أحد من سبقه ولا يُطابقه من تلاه، فتفرّده لا يقوم على مجرد الاختلاف الشكلي، أو الاختيار الموضوعاتي المغاير، بل يقوم على رؤية جمالية وفلسفية وإنسانية متكاملة تنبثق من موهبة خلاقة وثقافة شاملة وشخصية مركّبة لا يمكن اختزالها في تعريف مبسّط. فهو في آنٍ واحد: الشاعر الكلاسيكي المُلمّ بكل أصول الشعر القديم، والمُجدّد الثائر على هذه الأصول وعيًا لا جهلًا، والمُفكّر الوجودي الذي يُوظّف الشعر للتساؤل عن الحياة والمعنى، والساخر الناقد الذي يكشف تناقضات مجتمعه بسلاح الكلمة.

وقد استوعب أبو نؤاس في خمرياته موضوعًا واحدًا هو الخمر والشرب والمجلس، لكنه فتح منه نوافذ على كل المسائل الكبرى: الحرية والقيد، والجمال والفساد، والقدسي والدنيوي، والفردي والاجتماعي، والعربي والكوني. وهذه القدرة على جعل الموضوع المحدود مدخلًا إلى التأمل الكلّي هي علامة الشعر العظيم في أي ثقافة وأي زمان. ولهذا السبب يحتل أبو نؤاس في قائمة عظماء الشعراء العرب مكانةً لا يُنازَع فيها، وتظل خمرياته من أغنى التراث الشعري العربي وأكثره استحقاقًا للدرس والتأمل والقراءة المتجددة.

ويبقى السؤال الذي يطرحه خمريات أبي نؤاس على الثقافة العربية المعاصرة سؤالًا حيًا لم تنتهِ الإجابة عنه: كيف نتعامل مع إرث شعري عبقري يُخالف بعض قيمنا الدينية والاجتماعية؟ هل نُقصيه أم نُقدّره؟ هل نقرأه بعين الأخلاقي أم بعين الجمالي؟ وهل الفن مُلزَم بالانصياع للمنظومة الأخلاقية السائدة أم له استقلاليته التي تجعله يسبر آفاقًا لا تطيق تجاوزها المنظومات الأخرى؟ هذه الأسئلة التي يُثيرها شعر أبي نؤاس هي ذاتها أسئلة يُثيرها كل فن حقيقي في كل ثقافة وكل زمان، فلنستمع إليه حيث يقول(٤٦):-

يا شقيق النفس من حكم .....نمتَ عن ليلى، ولم أنمِ
فاسقني الخمر التي اختمرت.....بخمار الشيب في الرّحمِ
فَهْيَ لليوم الّذي بُزِلَت.....وَهْيَ تِربُ الدهرِ في القِدَمِ

No 4A العدد4A
2026 آب Aug 2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

عتّقت حتّى لو اتصّلت.....بلسانٍ ناطقٍ وفمِ.

لا يزال أبو نؤاس حاضرًا بقوة في الذاكرة الثقافية العربية المعاصرة، وإن كان حضوره مثيرًا للجدل مستفزًا للنقاش في أحيان كثيرة. فهو يُستحضر كرمز للتمرد والحرية والإبداع في مواجهة القيود، وتُوظَّف نصوصه في سياقات ثقافية متنوعة تشمل الأدب والسينما والمسرح والدراما التلفزيونية. وقد أُفرد له عدد كبير من الدراسات الأكاديمية الحديثة في الجامعات العربية والغربية، كما تُرجمت مختارات من خمرياته إلى لغات عديدة وجدت صدىً واسعًا لدى القراء الغربيين.

ـالخَاتِمةُ والنتائج

خلصت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج، سجلنا في هذهِ الخاتمة أبرزها:

١-إنَّ الصنعة الأدبية في خمريات أبي نؤاس تقوم على منظومة جمالية متكاملة تجمع بين التجديد الجذري في الموضوع والأسلوب والرؤية، وبين الإحكام الفني في بناء الصورة الشِّعريةِ.

٢-كشفت الدراسة أن أبا نؤاس لم يكن شاعر خمر بالمعنى السطحي الضيق؛ بل كان شاعر حرية وإنسانية وتأمل.

٣-وظّف أبو نؤاس الخمر بوابةً للتعبير عن فلسفة وجودية عميقة ونقد اجتماعي جريء ورؤية جمالية فريدة.

٤-تمكّن أبو نؤاس من خلال ثقافته الموسوعية الجامعة بين الأصالة العربية، والتأثيرات الفارسية، والتقاليد الدينية والفلسفية من إنتاج نصوص متعددة الطبقات الدلالية والجمالية، كلٌّ منها يحتمل قراءات متنوعة ويُفصح عن معانٍ جديدة كلما أعاد إليه القارئ النظر.

٥-تُؤكد هذه الدراسة أن التعامل مع خمريات أبي نؤاس يستلزم مزاوجةً بين المنظور الجمالي الذي يُقدّر الإبداع والابتكار، والمنظور التاريخي الذي يضع النصوص في سياقها الحضاري الحقيقي، والمنظور الإنساني الذي يُدرك ما في هذه النصوص من أسئلة وجودية لا تتقادم ولا تنضب.

٦-إن أبا نؤاس بخمرياته وسائر شعره مدرسةٌ أدبية بأكملها تستحق من الباحثين والنقاد والقراء مزيدًا من الاهتمام والعناية والقراءة المتجددة.

٧- إنّ ما أبدعه قبل أكثر من اثني عشر قرنًا لا يزال يتنفس ويتحدث ويُثير ويُدهش حتى اليوم، حتى وصل وارتقى إلى مرتبة صانع الخمريات.

٨-تبقى خمريات أبي نؤاس شَاهدًا حيًا على أن الشعر العظيم هو الذي يتجاوز حدوده الزمنية والثقافية الضيقة ليُخاطب الإنسان في جوهره الكلي المشترك، وأن الجرأة الإبداعية حين تقترن بالموهبة العالية والثقافة الواسعة تُنتج ما يُعلو على الزمن ويُقاوم النسيان. وهذا هو الإرث الأعمق الذي تركه أبو نؤاس في ضمير الأدب العربي: أن الشعر قادرٌ على أن يكون أكثر من كلام، قادرٌ على أن يكون فعلًا وتحديًا ورؤيةً وحرية.

ـهَوامشُ البحثِ:

١-يُنظر: تاريخ الأدب العربي، حنا فاخوري، ص٢١٦.
٢-يُنظر: نفسية أبي نؤاس، محمد النويهي،ص٥٠.
٣-يُنظر: المصدر نفسه.
٤-يُنظر: علي آيت أوشان السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ص٣٣.
٥-يُنظر: نفسية أبي نؤاس، محمد النويهي، ص٦٧.
٦-يُنظر: المصدر نفسه.
٧-يُنظر: أبو نؤاس، دراسة في التحليل النفساني والنقد التاريخيّ، عباس محمود العقاد، ص١٧٠
٨-يُنظر:المصدر نفسه.
٩-يُنظر:أنسنة الشعر، مدخل إلى حداثة أُخرى، فوزي كريم، ص٩٥.
١٠-يُنظر: خمريات أبي نؤاس، دراسة تحليلية في المضمون والشكل، أيمن محمد زكي العشماوي،ص١٢٣.
١١-لسان العرب، ابن منظور، مادة(خَمَرَ)، مج ٦/ ١٨٧.
١٢-الكُليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، ص٣٠٢.
١٣-الشعروطوابعه الشعبية على مرّ العصور، د.شوقي ضيف، ص٤٣.
١٤-يُنظر: فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب، إيليا حاوي، دار الثقافة. بيروت،ص١٩.
١٥-يُنظر: تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، دار المعرفة، ص٣٠٢.

١٦-يُنظر: المصدر نفسه.
١٧-يُنظر: المجاني الحديثة، فؤاد البستاني، ص١٥٧.
١٨-يُنظر: حديث الأربعاء، طه حسين، ج٢/ ٩٠.
١٩-يُنظر: الشعر العربي المعاصر، عز الدين إسماعيل، ص٤٦.
٢٠-يُنظر: شعراء العصر العباسي، يوسف خليف، ص١٠٨.
٢١-الديوان: ج٣/ ٢١٦.
٢٢-يُنظر: الموسوعة الفلسفية، عبد المنعم حنفي، ج٤/ ٢٦٠.
٢٣-الديوان: ج١/ ٤٣.
٢٤-الديوان: ج٣/ ٦.
٢٥-الديوان: ج٣/ ٦.
٢٦-المصدر نفسه.
٢٧-الديوان: ٢/ ١١٥.
٢٨-الديوان: ١/ ٧٨.
٢٩-المصدر نفسه: ج١/ ٩٨.
٣٠-المصدر نفسه: ٢/ ٢٠٠.
٣١-نفسية أبي نؤاس، ص٦٥.
٣٢-يُنظر: المصدر نفسه.
٣٣-الديوان: ٣/ ٩٨.
٣٤-نزعة الأنسنة في الفكر العربي، محمد أركون، ص٤٨.
٣٥-المصدر نفسه.
٣٦-حديث الأربعاء، ج٢/ ٥٩.
٣٧-نزعة الأنسنة في الفكر العربي، ص٥٠-٥١.
٣٨-بنية الحكاية في خمريات أبي نؤاس، ص٢٢.
٣٩-الديوان، ج١/ ص٢٤٧.
٤٠-الديوان، ج٢/ ٨٨.
٤١-الديوان، ج٣/ ٧٠.
٤٢-الديوان، ج١/ ٣١٠.
٤٣-يُنظر: خمريات أبي نؤاس، ص١٧٩.
٤٤-الديوان، ج٣/ ٢٤.
٤٥-الديوان، ج١/ ١٦٣.
٤٦-الديوان، ج٢/ ٨٧.

ـقائمةُ المَصادرِ والمَرَاجِع

١-ابن قتيبة عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩.
٢-ابن المعتز، عبد الله، طبقات الشعراء، تح: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٦.
٣-ابن منظور أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم، (ت٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
٤-أبو نؤاس الحسن بن هانئ، الديوان، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٢.
٥-إحسان عباس، تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي، دار الشروق، عمان، ٢٠٠٦.
٦-أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي دار المعرفة. بيروت ١٩٩٣م.
٧-أحمد عبد المجيد الغزالي، تحقيق ديوان أبي نؤاس.
٨-إيليا حاوي، فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب، دار الثقافة، بيروت. د.ت.
٩-أيمن محمد زكي، العشماوي خمريات أبي نواس، دراسة تحليلية في المضمون والشكل دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، ١٩٩٨م.
١٠-جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٢.
١١-الجاحظ عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٤.
١٢-حسن ناظم، أنسنة الشعر مدخل إلى حداثة أخرى : فوزي كريم نموذجا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء / بيروت ٢٠٠٦م.

١٣-حسين مروة، النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، دار الفارابي، بيروت، ١٩٧٨.
١٤-شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦.
١٥-طه حسين، حديث الأربعاء. دار المعارف. ط ١٤. القاهرة ١٩٩٣م.
١٦-عباس محمود العقاد، أبو نواس الحسن بن هانئ، دراسة في التحليل النفساني والنقد التاريخي، مطبعة الرسالة. القاهرة. د.ت.
١٧-عبد الحميد يونس، الخمر في الشعر العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥.
١٨-عبد الرحمن بدوي، الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، دار القلم، لبنان، ١٤٠٣هـ.
١٩-عبدالله الغذامي، تأنيث القصيدة والقارئ المختلف المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - بيروت، ط٢/ ٢٠٠٥.
٢٠-عبد المنعم الحفني، الموسوعة الفلسفية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٦م.
٢١-عزالدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب. دار العودة. بيروت. د.ت.
٢٢-عزالدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، دار العودة، بيروت، ١٩٧٢.
٢٣-علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠١م.
٢٤-كمال أبو ديب، في البنية الإيقاعية للشعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١.
٢٥-محمد النويهي نفسية أبي نواس،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٣م.
٢٦-يوسف خليف، شعراء العصر العباسي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٢.